Issn:2572-0023

قضايا الإصلاح في فكر الشيخ عبد الحميد بن باديس
الأسس والمنهج

د/سفيان لوصيف
جامعة محمد لمين دباغين-سطيف02-

ملخص:

عرفت الجزائر بعد عقود من الاحتلال الفرنسي فترة الجمود والخمول الفكري والانحطاط الثقافي، نتيجة لعوامل الهيمنة الاستعمارية وربط الثقافة والتعليم والدين بالإدارة الفرنسية، واستمر ذلك إلى مطلع القرن 20م أين بدأت تظهر نخبة جزائرية مثقفة لاسيما رجال جمعية العلماء المسلمين الجزائريين، الذين عكفوا على النهوض بالمجتمع الجزائري في شتى الجوانب لاسيما ميدان الإصلاح، وكان الشيخ عبد الحميد بن باديس أبرز هؤلاء عالما ومصلحا وإماما، خصص جهده وفكره وعلمه خدمة للدين والوطن، في هذا المقال بالدراسة و التحليل أضواء وخطوط عريضة عن حياته وعلمه أنا بصدد تناولها في مساره الإصلاحي الذي برز فيه مع ثلة من المصلحين مثل الإبراهيمي والتبسي والميلي والعقبي وغيرهم.

الكلمات المفتاحية: - جمعية العلماء المسلمين الجزائريين. - الشيخ عبد الحميد بن باديس. الجزائر. قسنطينة.

Abstract:

Decades after the French colonization ,Algeria knows a period of stagnation , intellectual inertia and cultural decline as a result of the factors of the colonial domination which relate culture , education and religion with the French administration ,this continued until the early of the 20 th century with the emergence of an Algerian cultured elite specially Man from organization of Algerian Muslims scholars ,who worked to promote the Algerian society in all fields ,specially the field of reform .

Chick Abd Alhamid Ben Badis was The most prominent ,He was scholar, reformer and Imam .In addition to this, he devoted his efforts, thought and knowledge to serve religion and his homeland.In this article, I deal by study and analyse the big lines and lights from his life and his knowledge of his reformation side where he was emerged with a number of reformers such as; El-Ibrahimi,Et-Bessi,Elmili, El-Okbi and some others.

مقدمة:

شهد العالم الإسلامي خلال القرن 19م والنصف الأول من الأول من القرن 20م بروز علماء ومصلحين أمثال خير الدين التونسي وجمال الدين الأفغاني ومحمد عبده، فوجدوا الأمة مكبلة بأغلال عديدة تعوق حركتها وتقعدها عن النهوض، فمن الخرافات والأوهام والانحرافات في العقيدة الإسلامية، فعمل هؤلاء جميعا على تحرير الأمة من هذه القيود عقائديا وثقافيا واجتماعيا، حتى بلغ هذا الإصلاح بعض مقاصده، لكنه لم يذهب بعيدا في أن يضع الأمة على طريق النهضة لتستأنف شهودها الحضاري.

ومع مطلع القرن 20م ظهر جيلا قرأ التجارب السابقة وما أسفرت عنه من نتائج، فأدرك أن داء التخلف بلغ في جسم الأمة، وأن الأمر يحتاج إلى إحياء شامل لجسم الأمة، وذلك بإحياء لجذوة الإيمان فيه لينظر إلى الحياة نظرة جديدة مستمدة في كل اتجاهاتها من مقتضيات ذلك الإيمان، وفي قلب هذا الموكب الجديد من المصلحين احتل بن باديس موقعه لينطلق في مسيرة الإصلاح من أجل النهوض بالأمة لتستأنف دورها الحضاري.

مفهوم الإصلاح:

لغة: الإصلاح ضد الفساد وهو من الصلاح المقابل للفساد و للسيئة، وجاء في القرآن الكريم قوله عز وجل:" **وَ لا تُفْسِدُوا فِي الأَرْضِ بَعْدَ إِصْلاحِهَا**..." (سورة الأعراف، الآية: 56)، فالإصلاح هو التغيير إلى الأفضل و الأحسن، فالحركات الإصلاحية هي الدعوات التي تحرك قطاعات من البشر لإصلاح ما فسد، في الميادين الاجتماعية المختلفة، انتقالا بالحياة إلى درجة أرقى في سلم التطور الإنساني.

اصطلاحا:

لا يفرق بينه وبين التغيير، وإنما من حيث الأسلوب في التغيير وزمن التغيير، وزمن التغيير فكلاهما مصطلحين إسلاميين يعني التغيير الشامل والعميق، لكن التغيير يسلك غالبا سبل السرعة، بينما تتم التغيرات الإصلاحية بالتدريج، وتبدأ مناهج الإصلاح عادة بتغيير الإنسان، وإعادة نفسه وفق الدعوة الإصلاحية، وبعد ذلك ينهض الإنسان هذا الإنسان بتغيير الواقع وإقامة النموذج الإصلاحي الجديد، ولذلك وصفت رسالات الرسل بأنها دعوات إصلاح، فجاء في القرآن الكريم على لسان النبي شعيب عليه السلام قوله تعالى: " **إِنْ أُرِيدُ إِلاّ الإِصْلاَحَ مَا اسْتَطَعْتُ وَمَا تَوْفِيقِيَ إِلاّ بِاللّهِ عَلَيْهِ تَوَكّلْتُ وَإِلَيْهِ أُنِيبُ** "(سورة هود، الآية: 88).

وكانت الدعوة الإصلاحية شاملة لميادين الفكر الديني، واللغة العربية وعلومها وآدابها، وعلاقات الحاكمين والمحكومين، ولقد تحولت فكرية هذه الدعوة الإصلاحية إلى روح سارية في الكثير من الدعوات والحركات والمشاريع الفكرية للعديد من العلماء والمفكرين على امتداد العقود التي تلت وعلى امتداد أقاليم العالم الإسلامي[1].

الشيخ عبد الحميد بن باديس: سيرة مصلح

الشيخ عبد الحميد بن باديس أحد رواد الإصلاح في العالم الإسلامي، كما ويعد ركيزة أساسية ارتكزت عليها الحركة الإصلاحية الجزائرية، وهو إلى جانب ذلك مؤسس جمعية العلماء المسلمين الجزائريين، عائلته عريقة في التاريخ برزت منذ الفترة الإسلامية حين كان أجداده سادة المغرب الأوسط ومؤسسي الدولة الزيرية الصنهاجية نذكر منهم بلكين بن زيري والمعز بن باديس، وبرزوا في الذود عن الدين من الشيعة الباطنية وبدعهم[2].

ولد الشيخ في 4 ديسمبر 1889 بمدينة قسنطينة عاصمة الشرق الجزائري منذ عصور خلت، والده محمد المصطفى الذي كان مندوبا ماليا ومستشارا بلديا في عمالة قسنطينة، وله إخوة وأخوات

1- عبد الكريم بوصفصاف: الفكر العربي الحديث والمعاصر، محمد عبده و عبد الحميد بن باديس نموذجا، دار الهدى، الجزائر، ص. 269.

2-عبد الكريم بوصفصاف: ابن باديس الرمز في ذكراه الثانية والستين، منشورات مؤسسة الشيخ عبد الحميد بن باديس، مطبعة دار الهدى، عين مليلة، ص. 6.

مثقفون بين الثقافة الفرنسية والثقافة العربية الإسلامية، بينما الشيخ عبد الحميد لم يدخل المدرسة الفرنسية نهائيا ولم يشتغل نهائيا أي وظيفة عند السلطات الفرنسية، فعائلة كانت معروفة بالثراء والجاه والعلم[1].

اعتنى به والده منذ صغره فاختار له أحسن المدرسين في قسنطينة منهم الشيخ المداسي والشيخ الونيسي، ويقر الشيخ عبد الحميد في فضل والده قائلا:" إن الفضل يرجع إلى والدي الذي رباني تربية صالحة ووجهني وجهة صالحة، ورضي لي العلم طريقة اتبعها ومشربا أرده، وقاتني وحماني من المكاره صغيرا وكبيرا وكفاني كلف الحياة "[2].

حفظ القرآن الكريم في صغره، وولاه شيخه إمامة المصلين في الجامع الكبير بقسنطينة وعمره إحدى عشر سنة، وبعد عام 1908 أرسله والده إلى جامع الزيتونة لمواصلة التعليم، ونال شهادة التطويع في سنة 1911، وفي سنة 1913 قرر أداء فريضة الحج، واستقر خلالها في المدينة المنورة وهناك تعرف على الشيخ البشير الإبراهيمي والطيب العقبي، وهناك أشار نصحه الشيخ حسين أحمد الهندي بالعودة إلى بلاده التي هي في حاجة إليه[3].

تأسيس جمعية العلماء المسلمين الجزائريين:

بعد نهاية الحرب العالمية الثانية عرفت الجزائر نشاطا وحراكا سياسيا و ثقافيا غير معهود من قبل، لاسيما نشاط رجال الإصلاح، الذين عكفوا على توحيد جهودهم في جمعية وطنية، فكللت جهودهم بالنجاح ففي يوم 05 ماي 1931 اجتمعوا بنادي الترقي بالعاصمة، و تكونت الجمعية من أبرز العلماء الجزائريين نذكر عبد الحميد بن باديس، العربي التبسي، البشير الإبراهيمي، مبارك الميلي، الطيب العقبي، الأمين العمودي، وترأس اللجنة التأسيسية السيد عمران إسماعيل، وعين مجلس إداري من 13 عضوا، ورغم غياب الشيخ عبد الحميد بن باديس إلا أنه انتخب رئيسا للجمعية، والشيخ البشير الإبراهيمي نائبا له، وتحصلت الجمعية على الاعتماد من طرف الإدارة الفرنسية نظرا لليونة برنامجها كونها غير سياسية وحددت جمعية العلماء المسلمين" برنامجها في قانونها الأساسي الذي تضمن 24 فصلا تناول فيها

1- عبد الكريم بوصفصاف: ابن باديس الرمز في ذكراه الثانية والستين، مرجع سابق، ص. 6، 7.
2- المرجع نفسه، ص.9.
3- المرجع نفسه، ص.27.

الخطوط العريضة لعمل الجمعية، وتظهر أهداف الجمعية من خلال قانونها الأساسي ومن خلال نشاطات أعضائها وكتاباتهم، وفي مقدمة هذه الأهداف المحافظة على الدين الإسلامي ومحاربة الخرافات والبدع وإحياء اللغة العربية وآدابها وتمجيد التاريخ الإسلامي".

منهج الإصلاح عند الشيخ بن باديس:

لما عاد إلى الجزائر عمل على بعث نهضة دينية وعلمية جديدة، فألقى دروسه في الجامع الكبير في قسنطينة وفي الجامع الأخضر، وألقى دروسه في تفسير القرآن بالجامع الأخضر" فاستمع إليه المئات، وجذبهم حديثه العذب، ونظراته الدقيقة، وفكره المتقد، واتخذ ابن باديس من هذا المسجد مدرسة لتكوين القادة وإعداد النخبة التي حملت مشعل الإصلاح، وأخذت بيد الأمة إلى الطريق المستقيم، وكان يبدأ دروسه بعد صلاة الفجر، ويقضي نهاره معلما الأطفال الدين وعلوم العربية حتى بعد صلاة العشاء، ثم يستأنف دروسه في تفسير القرآن الكريم من التاسعة مساء حتى منتصف الليل للكبار، و داعيا إياهم إلى الالتزام بالدين وتغيير ما بأنفسهم حتى يغير الله ما بهم "[1].

يرى الشيخ عبد الحميد بن باديس أن أية عملية إصلاح في المجتمع يجب أن تقترن بالتعليم، وأن الفشل في هذا الميدان سيؤدي إلى الفشل في الجوانب الأخرى، لذا يربط بن باديس صلاح المسلمين وصلاح العلماء بالتعليم حيث عبر قائلا:" لن يصلح المسلمون حتى يصلح علماؤهم، فإنما العلماء من الأمة بمثابة القلب، إذا صلح صلح الجسد كله، و إذا فسد فسد الجسد كله، وصلاح المسلمين إنما هو بفقههم الإسلام وعملهم به، وإنما يصل إليهم هذا على يد علمائهم أهل جمود في العلم وابتداع في العمل فكذلك المسلمون يكونون، فإذا أردنا الإصلاح فلنصلح علماءهم[2].

لم يكن للمنهج الباديسي أن يثبت وينفذ في الحياة الجزائرية لو لم يتسم بجملة من العوامل الإيجابية المساعدة على تحقيق نجاعة العلاج وأهمها:

– طريقة الملأ بعد الخلاء، فقد عمل بن باديس في منهجه على التصدي لمحاولات الإذابة في الآخر، بعمليات إثبات الذات الحضارية المتميزة بشعار' الإسلام ديننا، العربية لغتنا، الجزائر وطننا.

1– السيد يوسف: عبد الحميد بن باديس: سيرة عالم شغل ببناء الإنسان عن تأليف الكتب.

2– الشهاب، ج 1، م 10، رجب 1353 أكتوبر 1934.

– الشمولية في المنهج حيث امتدت آثاره إلى كل فئات المجتمع، وعلى الخصوص الشباب، المرأة.

لذلك كتب للمنهج الباديسي التغييري النجاح، وكانت أبرز مظاهر نجاحه ممثلة في الاستجابة الجماهيرية العارمة بمناسبة الاحتفال بختم تفسير القرآن، والفتنة الطائفية العنصرية التي أشعلها اليهود بقسنطينة، وافتتاح مدرسة دار الحديث بتلمسان، وتدشين دار الطلبة بقسنطينة، وغيرها من التظاهرات الإقليمية في مناسبات مختلفة[1].

بن باديس والقضايا الوطنية:

تمثل التربية في فكر بن باديس كل نشاط تعليمي يحدث تغييرا إيجابيا في جوانب شخصية المتعلم، في فكره ولسانه ووجدانه وسلوكه، بحيث يجعله يتلقى تربية شاملة تعزز ارتباطه بدينه ولغته، وتعمق شعوره بالانتماء إلى الوطن والتاريخ، وتجعله يحافظ على شخصيته، وهذا المعنى محدد في القانون الأساسي الذي وضعه بن باديس لتأسيس جمعية التربية والتعليم، إذ ورد فيه:" بني القانون الأساسي للجمعية من الوجهة التربوية على تربية أبناء المسلمين وبناتهم بالمحافظة على دينهم ولغتهم وشخصيتهم، ومن الوجهة التعليمية على تثقيف أفكارهم بالعلم باللسانين العربي والفرنسي وتعليمهم الصنائع..."[2].

ركز الشيخ عبد الحميد بن باديس على المسألة الجزائرية ورد على كل سياسي جزائري أو فرنسي خلال فترة الاستعمار خاض في الهوية الجزائرية، أو شكك في انتمائها الحضاري الإسلامي، فهو لا يقبل أية مساومة في هوية الجزائر العربية الإسلامية، ومن قال غير ذلك فهو مخطئ لأن الأمة الجزائرية " أمة لها قوميتها ولغتها ودينها وتاريخها، فهي بذلك أمة تامة الأهمية لا ينقصها شيء من مقومات الأمم، وأنهم إلى ذلك مرتبطون بأمة عظيمة هذا كله في حياتهم فيحترمون قوميتهم، ولغتهم، ودينهم، وتاريخهم، والأمة التي هم مرتبطون بها، والحكومة التي هم مسيرون بقوانينها.

لا يمكن أن يخطر على بال أحد أن شخصية بن باديس في بعدها الديني وأفكاره الإصلاحية أن يكون التحرر من الاستعمار غير وارد في وعيه وفكره، أو غير مبرمج في حركته الإصلاحية، وإنما لم يجعل من ذلك شعارا معلنا، ولم يمض فيه على وجه العمل المباشر كان ذلك منه تصرفا واعيا مندرجا ضمن

1–عبد الرزاق قسوم: حاجة الجزائر اليوم إلى المنهج الباديسي، مجلة الوعي، عدد خاص، ص.33.

2 –آثار عبد الحميد بن باديس، ج 4، ص.103.

إستراتيجيته بعيدة المدى التي يكون فيها التصريح بمطالب الاستقلال والعمل المباشر من أجله عاملا مناقضا لتهيئة الأسباب التي تتضح بها الثمرة في إبانها، ولا تحبط في الطريق قبل فوات الأوان فيبوء العمل الإصلاحي كله بالخسران[1].

لقد ظل بن باديس يناضل من أجل الوطن، وظل يسير في ضوء ذلك معلما ومصلحا وساعيا في سبيل حرية بلده من كل ألوان الاستعمار، وقد تنوعت وتعددت في ذلك جهوده وتنوعت مواقفه، ويشدنا إلى الإمام في هذا المجال فخره و اعتزازه بأصالة الشعب الجزائري، وعمق جذوره، و سمو مكانته، ويرى الإمام أن المواطن الصحيح من تربطه بوطنه أواصر وذكريات وأمال، وإن لهذا الارتباط تكاليفه وواجباته، ولا كان المواطن موجودا بلا وجود، وفي هذا المنحى يقول بن باديس: " والنسبة للوطن توجب علم تاريخه والقيام بواجباته من نهضة علمية واقتصادية وعمرانية، والمحافظة على سمعة شرف اسمه وسمعة بنيه، فلا شرف لمن لا يحافظ على شرف وطنه، ولا سمعة لقومه ".

كانت للشيخ عبد الحميد بن باديس مواقف ومعارك سياسية مع الزعيم السياسي الدكتور محمد بن جلول، الذي اتهم جمعية العلماء المسلمين الجزائريين بالتطرف، وفرحات عباس الذي أنكر في بداية مشواره السياسي الشخصية القومية الجزائرية، فكتب الشيخ بن باديس مقالا دحض فيه ما تبناه فرحات عباس من أفكار لا تستند إلى وقائع تاريخية ورافضا فكرة الإندماج مع فرنسا التي يدعو لها هذا التيار الذي آمن بفرنسا وثقافتها.

ومن بين ما عبر به قوله:" نحن فتشنا في صحف التاريخ وفتشنا في الحالة الحاضرة، فوجدنا الأمة الجزائرية المسلمة متكونة موجودة كما وجدت كما تكونت ووجدت كل الأمم، ولهذه الأمة تاريخها الحافل بجلائل الأعمال، ولها وحدتها الدينية واللغوية، ثقافاتها الخاصة وعوائدها، وأخلاقها، بما فيها من حسن وقبيح، شأن كل أمة في الدنيا، إن هذه الأمة الجزائرية الإسلامية ليست فرنسا، ولا يمكن أن تكون فرنسا، ولا تريد أن تصير فرنسا، ولا تستطيع أن تصير فرنسا ولو أرادت، بل هي أمة بعيدة عن فرنسا كل البعد في لغتها وفي أخلاقها في عنصرها وفي دينها "[2].

1- عبد المجيد النجار: ملامح الإستراتيجية السياسية للإمام عبد الحميد بن باديس، مجلة الوعي، ص.83.
2- الشهاب، م 12، ج 1، أفريل 1936.

كتب الشيخ عبد الحميد بن باديس عن الإخلاص والوفاء للوطن قائلا: " والإخلاص أن تعمل لوطنك ولو أنكرك وأنكر عملك أبناء وطنك، وتكريس العمل أن تكون جميع أعمالك عائدة بالخير على وطنك، فتستطيع أن تنفع الناس كلهم دون أن تضر وطنك، فتكون خدمت قد وطنك بما زرعت به من محبة في قلوب من أحسنت إليهم من الناس، فأحبب وطنك، ولا تبغض أوطان الناس، انفع وطنك ولا تضر أوطانا أخرى، بل اجتهد لأن تكون مصدر محبة شاملة ونفع عام "[1].

هيكل علماء الجزائر أنفسهم جمعية العلماء المسلمين الجزائريين التي تأسست عقب الاحتفالات المئوية للاحتلال الفرنسي للجزائر يقول الشيخ عبد الحميد بن باديس[2]: «من المعلوم أن الأمة الجزائرية هبت بعد مرور قرن من الاحتلال لتأخذ قسطا من الحياة، من نواحي عديدة وخصوصا الناحية الدينية والعلمية».

أثارت هذه الاحتفالات سخط الجزائريين بحدة، ومن ناحية أخرى حفزت فيهم الهمة لاستغلال الظرف والشروع في بعث الأمة، وإرساء مشروع ثقافي وطني يرد على أوهام المؤرخين الفرنسيين الذين أنكرا ذاتية وهوية الجزائري[3]، بدأت تبرز أولى الكتابات التاريخية الوطنية التي توضح وجود الوطن منذ العصور القديمة، وأكدت تاريخ الجزائر وأبرزت بطولات زعمائه عبر التاريخ، وكان من الرعيل الأول الشيخ مبارك الميلي، أحمد توفيق المدني، عبد الرحمان الجيلالي، فرغم ضعفها في منهجها العلمي إلا أنها تحتوي على رسالة وطنية و تربوية وتاريخية[4].

شرعت جمعية العلماء في أداء عملها الإصلاحي وفق شعارها' الإسلام ديننا والعربية لغتنا، والجزائر وطننا' فقد ضحى قادتها بنعيم الحياة وزخرفها، مسخرين طاقاتهم في الوعظ والإرشاد مدافعين عن القيم الجزائرية التي تشكل هوية الجزائري وشخصيته، فكانت محاور برنامجها الإسلام الذي يجب العمل

1- الشهاب، ج 3، 14 جمادى الأولى، ماي 1938.

2-محمد الطيب العلوي: التربية بين الأصالة والتغريب، منشورات دحلب، الجزائر، ص.120.

3-عبد الكريم بوصفصاف: جمعية العلماء المسلمين ودورها في تطور الحركة الوطنية الجزائرية 1931 - 1945، ط1، دار البعث، قسنطينة: 1981، ص.85.

4- ناصر الدين سعيدوني: ورقات جزائرية، ط1، دار الغرب الإسلامي، بيروت، 2000، ص.32.

على إصلاح عقائده وصد العدوان عن معابده وأوقافه، وإحياء العربية في آدابها وتاريخها والتمسك بالوطنية الجامعة بين الإسلام والعربية[1].

خاضت جمعية العلماء المسلمين حربا مكشوفة على الاستعمار، وضد سياسته في محاربة الإسلام والفرنسة والتجهيل، وبصفة عامة محاربة التغريب الثقافي بإتباع أساليب ووسائل ذكية، فكانت لها منذ البداية مواقف صريحة إزاء ذلك نجسدها في أوضح مثال عبر عنه عبد الحميد بن باديس بقوله[2]: «قد فهمنا والله ما يراد بنا، أننا نعلن لخصوم الإسلام والعربية أننا عقدنا على المقاومة المشروعة، عزمنا وسنمضي بعون الله في تعليم ديننا ولغتنا، رغم كل ما يصيبنا ولن يصدنا عن ذلك شيء فنكون قد شاركنا في قتلهما بأيدينا».

تعكس هذه التصريحات عمق رسوخ العمل الإصلاحي والثقافي في نفوس العلماء، الذين عكفوا على رسالة النهوض بالجزائر التي بدأت تشهد صحوة لم تعرفها منذ زمن، فأيقظت الجزائريين من السبات دفعت الأمة إلى حفظ تراثها من المسخ والتحريف[3]، كل هذا بتنظيمات ووسائل جندتها لنشر فكرتها من مدارس، صحافة، نوادي ثقافية، مساجد وكان أهم ميدان ركزت جمعية العلماء عليه جهودها هو ميدان التربية والتعليم، كونه وسيلة تثقيف وتوعية دينية ووطنية في جميع الفئات صغارا وكبارا إناثا وذكورا، ورغم الصعوبات والعراقيل فقد كانت مدارسها تناهز 150 مدرسة، يقارب عدد من يرتادها 50 ألف من البنين والبنات، وقد كلل عملها الدؤوب بتأسيس معهد عبد الحميد بن باديس سنة 1947[4].

التربية والتعليم في فكر الشيخ عبد الحميد بن باديس:

كان الشيخ عبد الحميد بن باديس يعطي الأولوية للبعد التربوي ويجعله الغاية الأساس من كل عمل تعليمي، وهذا ما بين فلسفة الشيخ في هذا الميدان، فهو دائما يربط التربية والتعليم ويعتبرهما شيئا واحدا أو عمليتين متكاملتين، ثم أنه يحرص أشد الحرص كله على توسيع مجال نشاطه التعليمي ليشمل كل الفئات العمرية والأعمار باعتبار التعليم حق كل فرد.

1-Ali Merad: Le réformisme musulman en Algérie de 1925 à 1940, essai d'histoire religieuse et sociale, les éditions El-hikma, Alger: 1999, pp.144, 145.

2-محمد الميلي: ابن باديس وعروبة الجزائر، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع، الجزائر، ص ص.151، 152.

3 -محمد الصالح رمضان: "جمعية العلماء ودورها العقائدي والاجتماعي والثقافي"، مجلة الثقافة، ع 85، الجزائر، 1984، ص.359.

4-المرجع نفسه، ص ص.364- 367.

المتتبع لجهود بن باديس ونضاله يلمس المكانة البارزة التي تحتلها التربية والتعليم ضمن أعماله افكرية و جهوده الإصلاحية، وهذا يدل دلالة واضحة على الأهمية التي أعطاها للنشاط التربوي، باعتباره الأساس الذي يقوم عليه كل تغيير، فالتربية عنده الحجر الأساس في كل عمل بنائي، لذلك أعطاها كل جهده ووقته، وجند لها رفاقه وتلاميذه الذين شدوا أزره، وساعدوه في تنفيذ المشروع الذي صممه، واستنهضوا معه همة الشعب ونخوته ليقوم بإنشاء المدارس وتمويل المشاريع التعليمية، وليلتفت حول جمعية العلماء المسلمين، ويستند جهدها في نشر العلم و بث الوعي الوطني و الديني والسياسي، يقول الشيخ عبد الحميد بن باديس:" إن الأمم لا تنهض إلا بعلمائها، فهو الذي يحل الأفكار من عقولها ويزيل على الأبصار غشاوتها ويبعث الهمم من مراقدها، ويدفع الأمم إلى التقدم في جميع الحياة "، فالتعليم إذن هو الحياة والتقدم، هذا ما آمن به بن باديس وسعى له وعمل به طوال حياته[1].

ترك بن باديس من آراء وأقوال وتصورات في مجال التربية، وفي ما يلي أهم المحاور التي يستخلص منها الفكر التربوي الباديسي:

- الآراء والأقوال التي يعالج بها قضايا التربية.

- المبادئ والتوجهات التي تؤسس مشروع التربية كما يتصوره.

- الأهداف والغايات التي تصورها وتصور من خلالها كيف يعد الإنسان الذي يريده المجتمع.

- المضمون التعليمي الذي هو جوهر العملية التعليمية والتربوية الذي هو أساس بناء الإنسان.

- الطرق ولأساليب التي تعتمد في تنفيذ العملية التعليمية[2].

قضايا المرأة في فكر في بن باديس:

دعا الشيخ عبد الحميد بن باديس إلى تعليم المرأة ورأى تكوينها وإعدادها لتكون مستعدة للوقوف مع الرجل في السلم والحرب، فإنه يرى أن المهمة الأساسية للمرأة هي تربيتها وتربية أبنائها، وهذه النظرة واقعية من رجل حكيم، لأن المرأة الجاهلة لا يمكن أن تنشئ جيلا متماسكا، فحرص على ضرورة

1- عبد القادر فضيل: الفكر التربوي الباديسي الحاضر والغائب، مجلة الوعي عدد خاص، ص. 65.

2- عبد المجيد النجار: المرجع السابق، ص. 84.

تعليمها كما أن المرأة العاملة لا يمكنها وإن بذلت كل الجهود أن تكون مستقرة وتكون بيتا مستقرا، ومن مهام المرأة تكوين الأجيال وتنشئة الأطفال تنشئة إسلامية، وهذا يتوقف على أخلاق المرأة و تدينها.

ويرى بن باديس أن الضعف الديني والخلقي في رجال الأمة إنما هو انعدام التربية الإسلامية في البيوت، وفي ذلك يقول:" فإن أردنا أن نكون رجالا فعلينا أن نكون أمهات دينيات، ولا سبيل إلى ذلك إلا بتعليم البنات تعليما دينيا تربيتهن تربية إسلامية، وإذا تركناهن على ما هن عليه من الجهل بالدين فمحال أن نرجو منهن أن يكون لنا عظماء الرجال، وشر من تركهن جاهلات بالدين إلقاؤهن حيث يربين تربية تنفرهن من الدين أو تحقره في أعينهن فيصبحن ممسوخات لا يلدن إلا مثلهن... "[1].

الخاتمة:

لقد كانت حياة ابن باديس ثرية وخصبة، وصفحة مشرقة في التاريخ، فرغم قصر حياته لن تتجاوز الخمسين سنة لكنها كانت مليئة وطويلة بالعمل، فكان قامة فارعة وارتفاع الوطنية والعقيدة إلى مرتبة الفدائية، ونلمح ذلك من قوله:" إننا نعتصم بالحق ونعتصم بالتواضع عندما نقول أننا شعب خالد ككثير من الشعوب، لكننا نصف التاريخ إذا قلنا: إننا سبقناها في ميادين الحياة، سبقنا هذه الأمم في نشر الحق أيام كانت في ظلمات من الجهل حالكة، أيام كانت تسبح في لجج من الأوهام و الخيالات، وذلك ما كنا فيه، وما سنعود إليه إن شاء الله، وإنما علينا أن نعرف تاريخنا، ومن عرف تاريخه جدير بأن يتخذ لنفسه منزلة لائقة به في هذا الوجود، ولا رابطة تربط ماضينا المجيد بحاضرنا الأغر والمستقبل إلا في هذا الحبل المتين: اللغة العربية، لغة الدين، لغة الجنس، لغة القومية، لغة الوطنية المغروسة ".

1 عمار طالبي: بن باديس حياته وآثاره، ج 4، 201، 202.